

أضواء على المسيحية في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام

صلاح أبو جوده اليسوعي °

مقدمة

يُجمع المؤرخون على أن المسيحية كانت متشرة في جنوب الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام. إلا أن الغموض يكتنف طريقة دخول تلك الديانة إلى ذلك القسم من الجزيرة، وزمان دخولها إليه، وأماكن انتشارها فيه، وعقائدها التي شاعت بين سكانه.

غير أن الدراسات الحديثة التي عالجت هذا الموضوع، وجلّها بلغات أجنبية، كثيرة، وهي تلقي أضواء من شأنها أن تنير عدّة جوانب من تاريخ المسيحية الداكن في تلك المنطقة.

إن ما سَقينا إليه، في هذه الدراسة، هو رسم لوحة لأوضاع مسيحية جنوب الجزيرة قبل الإسلام، مستفيدين مما توصلت إليه الأبحاث الحديثة في هذا المضمار. وقد حرصنا على أن نشمّل في دراستنا أهمّ التقاليد التي تتصل بهذا الموضوع، فلم نُغَيّبْ لا الأساطير ولا الروايات غير المثبتة تاريخياً، إضافة إلى الأحداث التاريخية المؤكدة، وما يحيط ببعضها من صعوبات، إن لجهة تحديد تواريخها، أو توضيح اتّصالها بالتطوّرات اللبنيّة والسياسية التي شهدتها الجنوب والشرق عامّة.

(o) كتبة اللاهوت اليسوعيّة - باريس.

لائحة المختصرات

أ - الكتب والمقالات

AIGRAIN, *Arabie* (1922) = P. René AIGRAIN, «Arabie», in: D.H.G.E., t. III (1922), col. 1233-1253.

GLASER, *Skisse II* (1890) = GLASER, *Skisse der Geschichte und Geographie Arabiens*, t. II (Munich: 1890).

HECHAIME, *Cheikho* (1967) = P. Camille HECHAIME, *Louis Cheikho et son livre «Le christianisme et la littérature chrétienne en Arabie avant l'islam»*, coll. «Recherches», Institut de Lettres Orientales de Beyrouth (U.S.J.), 2e série, 38 (Beyrouth: 1967).

HIRSCHBERG, *Nestorian Sources* (1939-1949) = J. W. HIRSCHBERG, «Nestorian Sources of North-Arabian Traditions on the Establishment and Persecution of Christianity in Yemen», in: *Rocznik Orientalistyczny* (Krakow), 15 (1939-1949).

LOUNDINE, *Rapports* (1974) = A. G. LOUNDINE, «Sur les rapports entre l'Éthiopie et le Himyar du VI^e siècle», in: *IV Congresso Internazionale di Studi Etiopici*, Acc. Nazionale dei Lincei, n° 191 (Rome: 1974), p. 313-320.

MOBERG, *Himyarites* (1924) = A. MOBERG, *The Book of the Himyarites* («Skifter utgivna av Kungl. Humanistiska Vetenskapssamfundet; Lund», 7), (Lund: 1924). Text: p. 1-61; translation: p. CII-CXL VI.

RABBATH, *Orient chrétien* (1989) = Edmond RABBATH, *L'Orient chrétien à la veille de l'Islam* (Publication de l'Université Libanaise 2ème éd., Beyrouth: 1989).

RYCKMANS, *Inscriptions* (1953) = G. RYCKMANS, «Inscriptions sud-arabes», 10e série, in: *Le Muséon*, 66 (1953), p. 284-303.

RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964) = Jacques RYCKMANS, «Le christianisme en Arabie du Sud Préislamique», in: *L'Oriente christiano nella storia* Acad. Lincei, quaderno n° 62 (Rome: 1964), p. 413-453.

SCHER, *Histoire nestorienne* = Addai SCHER, «Histoire nestorienne inédite (chronique de Se'ert)», in: *Patr. Or.* t. IV, V, VII.

SHAHID, *Byzantium* (1989) = Irfan SHAHID, *Byzantium and the Arabs in the Fifth Century*, (Dumbarton Oaks, Washington: 1989).

TRIMINGHAM, *Christianity* (1990) = John Spencer TRIMINGHAM, *Christianity among Arabs in Pre-Islamic Times* (Librairie du Liban, Beyrouth: 1990).

ابن هشام، السيرة = عبد الملك ابن هشام، كتاب سيرة رسول الله،
(طبعة مُستفَلد، غوتنغن: ١٨٥٨-١٨٥٩).

حَتّي، تاريخ العرب (١٩٩٠) = فيليب حَتّي، إدوارد جرجي، جبرائيل
جَبور، تاريخ العرب، (الطبعة الثامنة، دار غندور، بيروت: ١٩٩٠).

حموي، معجم الإيمان (١٩٩٤) = الأب صبحي حموي اليسوعي،
معجم الإيمان المسيحيّ (دار المشرق، بيروت: ١٩٩٤).

الطبري، تاريخ = أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (طبعة
دي كويه: ١٨٧٩-١٨٨١).

الطبري، جامع = أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي قرآن
(دار الفكر، بيروت: ١٩٨٨).

مراجع عربية أخرى:

حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسيّ (القاهرة: ١٩٣٥).

جواد علي، المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج ١، دار العلم
للملايين، بيروت: ١٩٦٨).

ب - المجموعات

E.I. = *Encyclopaedia of Islam* (1st edition).

E.I.2 = *Encyclopaedia of Islam* (2nd edition).

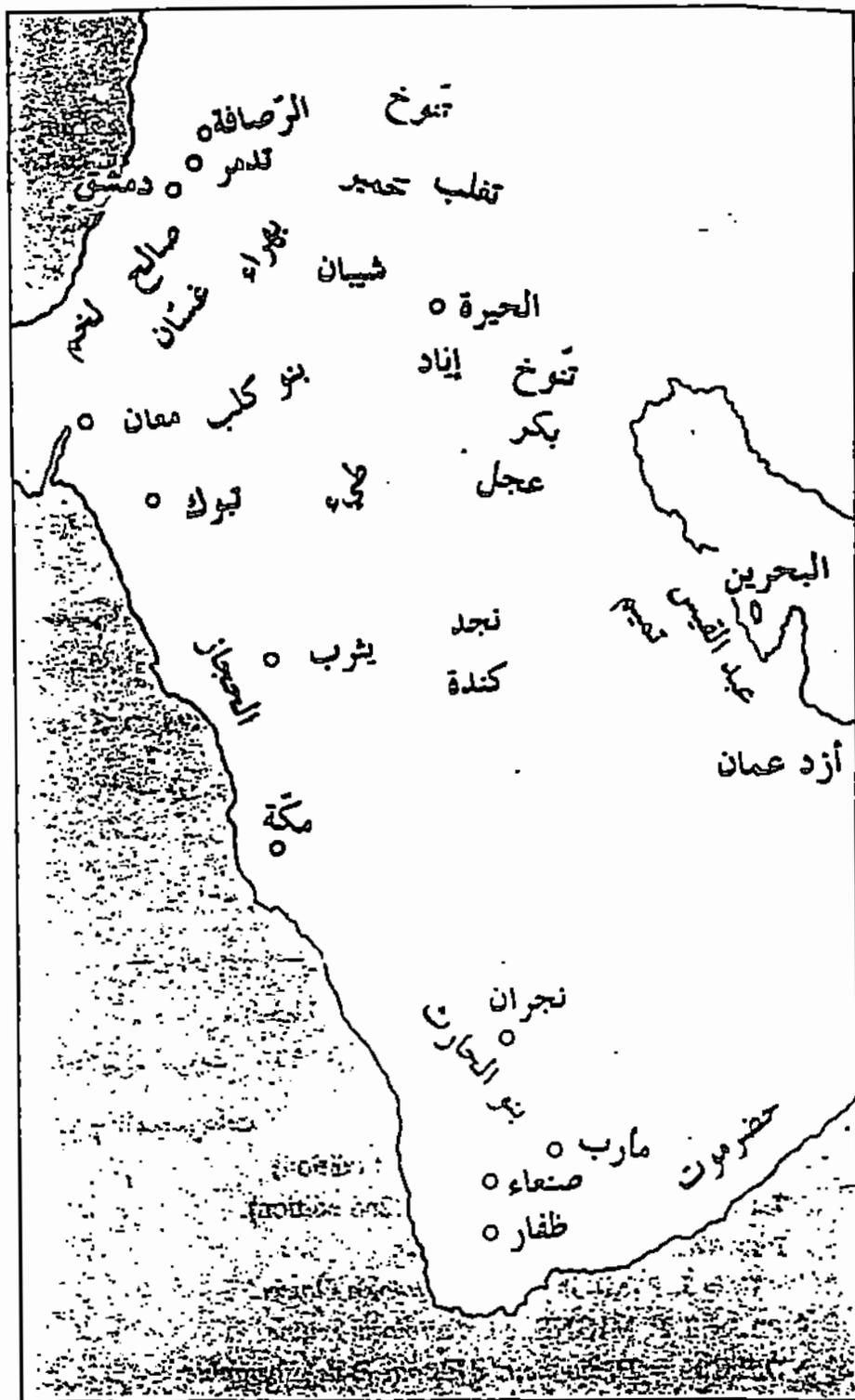
Patr. Or. = *Patrologia Orientalis*.

P.G. = J. P. MIGNE, éd., *Patrologia Graeca*.

P.L. = J. P. MIGNE; éd., *Patrologia Latina*.

D.H.G.E. = *Dictionnaire d'histoire et de géographie
ecclésiastique*.

Source: HECHAIMÉ, Cheikho (1967), p. XXIII



المسيحية في جزيرة العرب قبل الإسلام

المسيحية في الجنوب

ثمة تقاليد قديمة تتكلم على تبشير مبكر للمسيحية في جنوب الجزيرة والحبشة انطلاقاً مما في الكتاب المقدس، بمهديه القديم والجديد، من إشارات إلى علاقات قامت منذ زاير العصور بين العرب واليهود، جعلت من دخول المسيحية إلى جنوب الجزيرة أمراً بديهياً. ففي العهد القديم، على سبيل المثال، نجد في اللوائح السلالية بسفر التكوين (فصول ١٠ و ١١ و ٢٥) ما يدل على قرابة دموية بين أسلاف الإسرائيليين وسكان شمال الجزيرة وجنوبها على السواء. ومن بين المتحدرين من عابر، المتحدر من سام، تُذكر أسماء عديدة في تكوين ١٠/٢٥-٢٩ تشبه أسماء سكان قطنوا جنوب الجزيرة، أمثال يقطان (= قحطان)، وحضرموت، وشبأ (= سبأ) وحويلة (= خولان)^(١) ويرد أيضاً أن السبئيين الذين يعيشون في بلاد قاصية (يوئيل ٨/٣) كانوا تجاراً (حزقيال ٢٥/٢٣ و ٢٧/٢٢-٢٣)، يتاجرون بالذهب والبخور (أشعيا ٦٠/٦ وإرميا ٢٠/٦ ومزمور ٧١/١٥)، وبأفضل التوابل والحجارة الكريمة (حزقيال ٢٧/٢٢). ولكنهم كانوا أيضاً قراصنة (أيوب ١/١٥) وتجار عبيد (يوئيل ٨/٣). فضلاً عن ذلك، تدخل العرب، إبان حكم الملوك في إسرائيل، في شؤون اليهود بمناسبة عديدة. على سبيل المثال، زارت ملكة شبأ (سبأ) سليمان، وحصل يوشافاط، ملك يهوذا، على جزية كبيرة من العرب^(٢) عبارة عن

(١) تجدر الإشارة إلى أن اسمي قمين وقطبان لا يُذكران في الكتاب المقدس، في حين يُذكر اسم سبأ على أنه أخ دينان (في تكوين ٧/١٠ كابين كوش، وفي تكوين ٣/٢٥ كابين لإبراهيم وقحطان. أنظر أيضاً حزقيال ١٣/٣٨).

(٢) إن اسم الجنس «عرب»، الذي يرد في العهد القديم، يشير إلى البدو الذين يسكنون الغمام (أشعيا ٢٠/١٣) في البادية (إرميا ٢/٣) إلى الشرق من فلسطين، لذا دعوا «بنو الشرق» كما في (أشعيا ١٤/١١). وفي الواقع، لم يكن هنالك من تعريف خاصّ بسكان الجزيرة. فقد عنت كلمة «عرب»، عتماً استعملت لأول مرة في الكتابات الآشورية، البدو الذين يجوبون سهول سورية غرب الفرات. راجع في هذا الشأن:

TRIMMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 1-2.

كباش و تيوس (٢ أخبار ١١/١٧). وأغار العرب على المملكة وحتى على عاصمة يهوذا في أثناء حكم يُورام (٢ أخبار ٢١/١٦-١٧ و ١/٢٢).

وفي العهد الجديد، يرد اسم العرب في سفر الأعمال ١١/٢ وفي رسالة بولس إلى غلاطية ١/١٥-١٧. ولكنّ العرب المذكورين في العهد الجديد هم في الغالب من الأنايط، لا من عرب الجنوب، وعلى الأرجح أنّ القديس بولس اعتزل في الصحراء العربيّة إلى الشرق من دمشق حيث عاش الأنايط^(٣). على أنّ بعض التقاليد نقلت أنّ خازن ملكة الحبش، المذكور في سفر الأعمال ٨/٢٧-٣٨، بشر بالمسيحيّة في «بلاد العرب السعيدة» قبل أن يستشهد^(٤). في حين أنّ تقاليد أخرى تسبب تبشير العرب والفتحيّين ممّا إلى يعقوب أخى الربّ^(٥). ولكنّ جميع هذه التقاليد تفتقر إلى الإثباتات التاريخيّة، وبالتالي لا يمكننا أن نسلّم بصحتها^(٦).

رواية أوسابيوس

يذكر أوسابيوس القيصري^(٧) أنّ باتنيّس، رئيس مدرسة الإسكندريّة، علّم «الهند» (الأحباش أو الإثيوبيّين)^(٨) ميادى

(٣) راجع في هذا الشأن:

TRIMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 42-43.

(٤) *Le Synaxaire*, éd. Delehay, col. 788; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1161.

(٥) راجع:

La Diadascalie d'Addai, IV, 1, traduction F. Nau, p. 231; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1161.

(٦) نشر أيضًا إلى تقاليد مسيحيّة تعتبر أنّ ملوك المجوس الذين حضروا إلى بيت لحم وقت ميلاد السيد المسيح قد قدموا من اليمن. راجع:

MIGNE, in: P. L., XXI, p. 230; cf. RABBATH, *Orient chrétiens* (1989), p. 171 n. 91.

إنّ استعمال الكتاب المقدّس كمصدر للمعلومات إن تاريخيّة هو أمر يتطلّب حذرًا ودقّة بالغة، لأنّ هدف الكتاب المقدّس هو الإيمان لا العلم، ويجب ألاّ يُخلط بين الحقلين. راجع:

HECHAIMÉ, *Cheikho* (1967), p. 61-63.

(٧) EUSEBE, *Histoire ecclésiastique*, V, X, 3, in: P. G., t. XX; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1160.

(٨) ذكر القديس هيرونيّس أنّ باتنيّس بشر في الهند عند البرهّمان، وفي ذلك إشارة=

المسيحية، وأنه قام بذلك بناءً على طلب من ديمتريوس، بطريرك الإسكندرية، الذي تسلّم طلبًا بهذا الشأن من أهل الحبشة أنفسهم. ويتابع أوسايوس أنّ بانتينس وجد، في أثناء قيامه بمهنته، إنجيل القديس متى بالعبرية، قيل إنّ الرسول برتلمائوس حمله معه في إحدى رحلاته التبشيرية. وقد ذكر روفينس وسقراط^(٩) أنّ رسالة القديس برتلمائوس شملت «الهند» المتاخمة للحبشة، الأمر الذي حمل بعضهم على الافتراض أنّ المقصود بتلك المنطقة هو القسم «السعيد» من الجزيرة العربية، أي جنوبيها. ومما عزز صحة هذا الافتراض وجود جماعات يهودية عديدة استقرت بالجنوب عقب تدمير معبد اورشليم^(١٠)، وهذا ما يبرر أيضًا وجود إنجيل بالعبرية. غير أنّ نصّ أوسايوس، الذي هو في أساس الافتراض، يفتر إلى الدقة والموضوعية، فلا يسعنا التسليم بالتالي بصحة هذه الروايات. وفي الواقع، أطلق الكتاب الإغريق واللاتين اسم «الهند» و«الهندود» بدون تمييز على الفرتين والفارسيين والميديين والأحباش والليبيين وسكان جزيرة العرب. لذا لا نستطيع أن نجزم هل «الهند» التي يذكرها أوسايوس هي جنوب الجزيرة أم لا. ومهما يكن من أمر، فالتقوس التي عُثر عليها في الجنوب، والتي ترتقي إلى القرون المسيحية الثلاثة الأوائل، لا تتضمن أية إشارة إلى الديانة المسيحية، بل تُختم بأدعية وثنية^(١١).

=إلى الهندوستان. غير أنّ المترجم اليرتاني الذي نسبته صفرونيوس قال إنّ الرسول كرز في الهند التي تدعوها «الحيلة». راجع:

AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1161.

(٩) ثمة اختلافات بين المؤرخين في شأن الأسماء الجغرافية، راجع: RUFIN, *Histoire ecclésiastique*, I, 9, in: P. L., t. XXI, col. 478 & SOCRATE, *Histoire ecclésiastique*, I, 9, in: P. G., t. LXVII, col. 125; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1161.

(١٠) لا نملك تاريخًا محددًا من دخول اليهودية إلى جنوب الجزيرة. ولكن ساد الاعتقاد أنّ وجودهم يرتقي إلى زمن تدمير الهيكل. وثمة مقطع في التلمود يروي أنه حوالي السنة ١٣٠م قام رجل دين يهودي اسمه ققيه Aqiba بزيارة الجماعات اليهودية في الجزيرة. راجع:

MIGNE, P. G., 65, col. 482-486; cf. RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 418 n. 32.

RYCKMANS, *Christians en Arabie* (1964), p. 413.

(١١)

رواية روفينس

وهناك أسطورة أخرى عن انتشار المسيحية في الجنوب يذكرها روفينس^(١٢) يجلد بنا أن نوردها. تبعًا لذلك المؤرخ، وطّد فيلسوف من صور اسمه ميروبيوس العزم على زيارة «الهند البعيدة» بدافع الفضول، وقد رافقه في رحلته تلك، التي تمت على عهد قسطنطين الكبير (٣١٢-٣٣٧)، شابان اسمهما فرومتيوس وإيديسيوس. وبعد أن قاموا برحلتهم الاستكشافية، توقفوا في طريق عودتهم في مرفأ عمد من فيه على قتل ميروبيوس واقتياد الشابين إلى ملكهم. وقد اعتبر الباحث غلاسر أنّ الملك المعني هو ملك حمير، وأنّ تصرف الحميريين العدائي جاء كردة فعل على انتهاك الرومان معاهدة أبرموها مع مملكتهم^(١٣). غير أنّ الملك اتخذ منهما موقفًا وديًا، فعين إيديسيوس خادمًا عنده وفرومتيوس قيمًا على خزائنه. وعقب موت الملك، قرّر الرجلان العودة إلى صور، إلا أنّ الملكة، التي تولّت الرصاية على العرش^(١٤)، حالت دون تنفيذ رغبتهما، بل طلبت إليهما أن يقوما برعاية ابنها إلى حين بلوغه السن القانونية فيرتقي العرش. إستفاد فرومتيوس من مركزه المرموق ليقوم يبحث عن بعض المسيحيين الذين بلغه عنهم أنّهم تشتتوا في أطراف المملكة، حتى إذا ما وجدهم عاملهم بلطف رضى لهم كنائس وأماكن عبادة.

حالما ارتقى الملك الشاب العرش حتى عاد إيديسيوس إلى صور حيث رُسم كاهنًا، في حين توجه فرومتيوس إلى الإسكندرية لكي يُطلع

RUFIN, *Histoire ecclésiastique*, I, 9, in: P. L., t. XXI, col. 478-480; cf. AIGRAIN, (12) *Arabie* (1922), col. 1236.

(13) يرى الباحث غلاسر أنّ تقضى المعاهدة يعود إلى سياسة حمير المتقلبة إزاء أكرسوم، وأنّ الملك الحميري كان حينذاك عمر (٣٢٥-٣٣٠)، الذي مال إلى اليهودية ولربما مارسها. راجع:

GLASER, *Skizze II* (1890), p. 120 ss.

(14) يعتبر غلاسر أنّ الملكة المذكورة هي يلكيس الشهيرة (الملكة ماكيندا Makeda في الأساطير الإثيوبية)، وأنّ أباهما مدّ - هاد أباه مدّ - هاد Hād-hād أزرها في إدارة شؤون المملكة. (راجع العاشبة السابقة).

بطريكها أثناسيوس على أوضاع المسيحيين في المملكة التي عاش فيها. فما كان من أمر القديس أثناسيوس إلا أن رسمه أسقفاً وأعاد إلى المملكة عينها ومعه عدد من الكهنة، فشهدت الكنيسة على أثر ذلك ازدهاراً كبيراً^(١٥).

في الواقع، بنى غلاسر افتراضه على أسطورة الملك اليم العربي، وجاؤل أن يماثل بين شخصياتها وشخصيات رواية فرومتيوس وإيديسيوس. ولكن المعطيات التي نستجها من عدة مصادر، على غموضها^(١٦)، تجعلنا نميل إلى الاعتقاد أن المقصود في أسطورة روفيس هو تشير الحبشة، لا بلاد حَمِير.

أولاً: دخول المسيحية بلاد حَمِير بحصر المعنى (غرب اليم)

أ - نشأة المسيحية: بعثة القيصر قسطنطوس الثاني

يروى المؤرخ فيلوستورجيوس^(١٧) أن القيصر قسطنطوس الثاني (٣٣٧-٣٦١)، الذي أولى شؤون حَمِير والجنوب بشكل عام اهتماماً كبيراً، أرسل بعثة برئاسة الأسقف تيوفيلس الهندي^(١٨)، على الأرجح قبل

(١٥) بما ل Duchesne، رُسم فرومتيوس أسقفاً على عهد قسطنطين، أو قليلاً قبل السنة ٣٤٠ أو قليلاً بعد السنة ٣٤٦. ذلك بأن أثناسيوس كان غائباً عن الإسكندرية في المدة التي تفصل بين التاريخين. وبما أن إقامة الرجلين في البلاط الملكي ما كانت لتدوم أقل من ١٥ سنة، تكون رحلة ميروبيوس قد تمت بين العام ٣٢٠ و ٣٢٥. راجع:

L. DUCHESNE, *Les églises séparées* (2 édit., Paris 1905), p. 311.

(١٦) إن التمايز الجغرافية في المصادر، كما سبق وأشرنا إليه، تنقصها الدقة، ولكنها، على الغالب، تدل على الحبشة. نجد، على سبيل المثال، التمايز التالية:
Inde, Inde intérieure, Inde ulérieure, Inde ultime. — CÉ. AIGRAIN, *Archie* (1922), col. 1237.

PHILOSTORGE, *Histoire ecclésiastique*, III, 4, in: P. G. vol. 65, col. 481-485. (١٧)

(١٨) أصله من جزيرة ديس (سقطري). كان في سقطري منذ القديم سكان إغريق منهم مسيحيون. وفي مطلع القرن السادس، كان هؤلاء، أو على أقله قسم منهم، تابعين للجائليق النسطوريي. وقد كانوا شديد الإخلاص للمسيحية حتى أنهم لم يتخلوا عن إيمانهم في ذروة المهد الإسلامي، زمن الهملاني وياتوت.

السنة ٣٥٦، الهدف منها إنشاء كنائس من أجل خدمة المواطنين البيزنطيين المقيمين في تلك المملكة، وجلبهم من التجار، ومحاولة نشر المسيحية. وتبعاً لرواية فيلستورجيوس، كان السكّان الأصليون حينها يمارسون الديانات الوثنية القديمة، باستثناء قلة من اليهود.

أفلح تيوفيلس في الحصول على إذن ملكي كيرب ملك الجيميريين، الذي اعتنق هو نفسه المسيحية^(١٩)، لبني ثلاث كنائس: كنيسة في العاصمة ظفار، وثانية في عدن، وثالثة في مدينة على مدخل الخليج الفارسي، ربما مضيق هرمز^(٢٠). ويضيف المؤرخ أنّ تيوفيلس تابع مهمته انطلاقاً من موطنه الأم، أي جزيرة سقطرى، فزار مناطق مجاورة أطلق عليها اسم «العريّة الكبرى»، حيث وجد الأسقف فيها مسيحيين على الدين القويم، أي المسيحية الأريوسية، ولكنّ عيهم الوحيد كان جلوسهم وقت تلاوة الإنجيل. ومن «العريّة الكبرى» ذهب تيوفيلس إلى أكسوم. ومن المحتمل أن يكون هو نفسه من حمل رسالة قسطنطوس إلى أميرى الأكسوميين أيزاناس وسيزاناس، ليطلب إليهما أن يرسلوا فرمسيوس، أسقف أكسوم، ليعلمن أمام الأريوسيين جرجس الإسكندريّ أنّه لم يكن ينتمي إلى حزب أثناسيوس المشبوه^(٢١).

(١٩) ثمة من يفترض أنّ ملكي كيرب، وربما أبوه ثاران في أثناء حكمهما المشترك، اعتنقا المسيحية. وما يبرّر هذا الافتراض هو وجود ملكي كيرب في ظفار زمن زيارة تيوفيلس، واكتشاف نقوش توحيدية ترقى إلى الزمن نفسه، ونهاية الوثنية في مارب. راجع:

RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 419.

(٢٠) يُروى هنا الأصل البيزنطي للمسيحية في جنوب غرب اليمن استعمال كلمة «قليس»، التي تبدو مشتقة من كلمة إكليسيا اليونانية. وقد حثت تلك الكلمة، في نقشين حيرتين يهودان إلى السنة ٥٢٤، كنية ظفار وكنيسة المُخا. راجع:

RYCKMANS, *Inscriptions* (1953), p. 284-303 (*Inscriptions Ry 507, 4 et Ry 403, 3,4*).

من جهة أخرى، حُرف عن فيلستورجيوس مبالغة في كلّ ما يختص بالأريوسية، لذا من المحتمل أن تكون الكنيسة الثالثة في هرمز في اختلاقه. راجع:

HECHAIMÉ, *Cheikh* (1967), p. 80-81.

(٢١) راجع:

ATHANASE, *Apol. ad Constantium*, XXXI, in: P. G., t. XXV, col. 636-637;=

تفصح رسالة تيوفيلس، في الواقع، عن نزاعات عقائدية وسياسية في آن واحد. فمن الناحية العقائدية، كان الصراع على التفوذ متأججا بين الأريوسية وأنصار أثناسيوس، ومن الناحية السياسية، كانت النزاعات المتكررة بين بيزنطية وفارس تهدد الطرق التجارية البرية التي تعبر الجزيرة. فكانت بالتالي مبادرة الإمبراطور قسطنطينوس ليني كنائس في الجنوب، لا ليضمن حرية العبادة للتجار الرومان المقيمين هنالك فحسب، بل لتعزيز وجوده السياسي بصورة غير مباشرة وضمان حياد حِمير إزاء الفرس، لا سيما وأنَّ الحجاز كان خاضعا لملوك الحيرة^(٢٢)، أتباع الفرس، والجماعات اليهودية في الحجاز تميل إليهم، وهذا يبرر معارضة يهود الجنوب لمهمة تيوفيلس^(٢٣).

ماذا أصطت رسالة تيوفيلس من نتائج؟

إنَّ المعلومات التي نستقيها من المصادر التاريخية الكنسية ومن الكتاب العرب والنقوش الحِميرية، تجمع كلها، على أنَّ تأثير عمل تيوفيلس كان مؤقتا. فليس هنالك من ذكر لتأسيس سلطة كنيسية في حِمير، وغاب كلُّ ذكر لكنيسة عدن منذ ذلك الحين.

إنَّ تشييد كنائس حيث سكن التجار البيزنطيون، واهتداء الملك، الذي كان نجاحا غير متوقع، ووضع حدَّ للوثنية الرسمية على الأقل، لم تمثل بداية فعالية لتبشير حِمير. فالمسيحية أخذت في فترة لم تتعدَّ القرن الواحد، في حين شهدت اليهودية نجاحا كبيرا، إذ سيطرت بصورة رسمية

cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1238. =

(٢٢) كان الحجاز يكامله في زمن شابور الأول، وصولا إلى تخوم نجران، خاضعا لملوك الحيرة. ولم تلبث تلك الحالة، التي انقلبت لصالح الرومان في أواخر عهد امرئ القيس، أن عادت إلى سابق عهدها بعد موت هذا سنة ٣٢٨. راجع في شأن الحيرة: TRIMMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 188-201.

(٢٣) قامت الجماعات اليهودية الحضرية في الحجاز بدور مهم في ظلَّ الإدارة التابعة للفرس. فنذكر بالتالي أنَّ معارضة يهود الجنوب لمهمة تيوفيلس لم تقتصر على الصعيد اللبني، كما يذكر فيلومستورجيوس، بل شملت الصعيد السياسي أيضا. راجع:

RYCKMANS, *Christianity in Arabia* (1964), p. 446-447.

في المملكة من حوالي السنة ٤٤٠ إلى ٥٢٥. فالتقاليد تتفق عموماً على أنّ ابن مَلِكِيكَرِب، التَّبَعُ أَسَدُ أَبُو كَرْبِ أَوْ أَسَدُ كَامِل (أَبُو كَرْبِ أَسْمَد)، قد تهوّد^(٢٤). والملوك الذين خلفوه كانوا من اليهود، أو على أقلّه من مناصري اليهودية. وما يُمرّز هذا الاعتقاد جملة حقائق، أولها أنّ نقوش ذلك العصر التوحيدية، وفيها ذكر «للرحمان»^(٢٥)، تبيّن مدى انتشار اليهودية وتعاضل نفوذها. ثمّ إنّ بعض المصادر العربية تتكلّم على ملكٍ لاحقٍ لـ «أبو كرب»، اسمه عبد كُلال بن مَثُوب، تحوّل إلى المسيحية بفضل مرسل غساني، ولكنه أخفى أمر اعتناقه خوفاً من شعبه. وما إن علم الجَمَيْرِيُّونَ أنّ ملكهم ترك دينهم حتّى قتلوا الرجل الذي نصره^(٢٦). إضافة إلى ذلك، يأتي ثيودوروس القاري^(٢٧) على ذكر شعب كان خاصماً للفرس، يقطن ساحل الجنوب حيث عاشت الملكة التي زارت سليمان، وأنّ ذلك الشعب كان وثنيّاً. وجميع الدلائل تشير إلى أنّ المقصود بهذا الشعب هم الجَمَيْرِيُّونَ. ولا عجب أن يكون النفوذ الفارسيّ قد قوي في مملكة جَمَيْرٍ مع انتشار اليهودية، لا سيّما وأنّ الفرس، في بعض أوقات صراعهم مع البيزنطيين، أثروا اليهودية على المسيحية، بما أنّهم استغلّوا

(٢٤) نام هذا الملك بحملات عديدة أرسلته حتّى العراق وأذربيجان. وبحسب الأسطورة، وصل بإحدى حملاته إلى يثرب في الحجاز. غير أنّ رجال الدين اليهود في تلك المدينة أقتعوا الملك بالعدول عن غزو المدينة التي صارت بعد قرنين مدينة النبيّ العربيّ. راجع: الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٩٠١-٩٠٢. وهناك مصادر أخرى (المصدر نفسه ص ٩٠٣-٩٠٤) تفيد أنّ المدينة كانت مكّة، وأنّ «أبو كرب» كان أوّل من ألبس الكعبة كسوته. ويقال إنّه أتى يائنين من رجال الدين اليهود إلى الجنوب، وهما هؤلاء هو وشعبه. بيد أنّ الأسطورة إنّ دلّت على شيء فعلى صحّة تحوّل أبو كرب إلى اليهودية.

GLASER, *Skizze II* (1890), p. 542. Voir aussi RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 436.

(٢٦) كتب الطبري: «... فأخذ الملك عبد كلال بن مَثُوب مخالفة أن يطعم في الملك خير أهل بيت المملكة، فولىه بسنّ وتجربة سياسة حسنة، وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الأولى، وكان يسرّ ذلك من قومه، وكان النبيّ دعاه إليه رجل من غسان فقم عليه من الشام، فوثبت جَمَيْرٍ بالغسانيّ قتلته...» تاريخ، ج ١، ص ٨٨١.

Théodore le LECTEUR, *Histoire ecclésiastique*, II, 58, in: MIGNE, P. G., t. 96, (٢٧) col. 212 et AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1241.

الأوضاع الدينية في سبيل بلوغ أهدافهم السياسية.

يمكننا أن نعتبر إذاً، أن المسيحية، في القرن الخامس، كانت غائبة عن جَمِير بحصر المعنى، أي غرب اليمَن، في حين أن اليهودية قويت فيها كما بقيت الوثنية شائعة بين الشعب، على ما نستتجه من بعض المصادر. فكتاب أعمال عزقير^(٢٨) الحبشي، يبين أن المسيحية لم تكن قد تأسست بعد في جَمِير في منتصف القرن الخامس، ويذكر المؤرخ يوحنا دياكريونوموس أن الجَمِيريين كانوا من اليهود ولم يعرفوا المسيحية إلا على عهد الإمبراطور أنسطاس الأول (٤٩١-٥١٨)، إذ رُسم لهم أسقف هو سلفانس^(٢٩). وفي الواقع، نادرًا ما تشير المصادر إلى علاقات قامت بين جَمِير وبيزنطية في الفترة الفاصلة بين عهد قسطنطوس (ق٤) وعهد أنسطاس، الذي عاد وأولى الجنوب أهمية في سياسته. غير أن إرسال الأسقف سلفانس من بيزنطية إلى جَمِير يطرح أكثر من مسألة.

ب - مسألة الأسقف سلفانس

ذكرنا في ما تقدم أن اليهودية انتشرت في جَمِير إبان القرن الخامس، في حين أن المسيحية غابت عنها (أي عن جَمِير بحصر المعنى). وقد رافق تلك التطورات اضطهادات، لم تخلُ من دوافع سياسية، طالت مسيحيي نجران، وآلت إلى تفاقم الأوضاع حتى الاضطهاد الكبير على عهد ذي نواس. يُروى في كتاب أعمال عزقير، الذي أشرنا إليه أعلاه، أن ملك

(٢٨) هذا الكتاب هو، في الواقع، سير قديسين ولكن له أهمية تاريخية كبيرة، بالرغم مما يتضمنه من روايات أسطورية وخيالية. وأهميته بالنسبة إلينا تكمن في أنه يزودنا بمعلومات وفيرة عن المسيحية في نجران إبان النصف الثاني من القرن الخامس. سنعود إلى ذكر هذا الكتاب في سياق كلامنا على مسيحية نجران. يبقى أن نشير إلى أن الكتاب تُرجم إلى الإيطالية وطُبع في السنة ١٩٠١:

C. Conti ROSSINI, «Un documento sul cristianismo nello Yemen ai tempi del Re Sarabhil-Yakrub», *Rendiconto della R. Accademia dei Lincei, Classe di scienze morali, storiche e filologiche*, 19 ser. 5a (Roma, 1910), p. 705-750; cf. SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 370 n. 170.

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 377 n. 190. Voir aussi MIGNE, P. G., t. 96, col. 211.

جَمِيرَ شَرَحِيْلَ يَكُوفَ، الذي ملك بعد منتصف القرن الخامس، أرسل في طلب المدعوَ حزقيير، وكان كاهنًا ينشر المسيحية في نجران. وعندما أحضر إليه في ظَفَار، طرح عليه أسئلة تتعلق بإيمانه المسيحي، التي رأى الملك فيها ديانة جديدة لم تعرفها البلاد. ثم عاد الملك وأرسله ثانية إلى نجران حيث أعدم. وهناك رواية أخرى ترد في كتاب الجَمِيرَيْن، الذي وصلتا أجزاء منه بالسريانية^(٣٠)، تفيد أن مسيحيي نجران تعرضوا لاضطهاد سلطات جَمِيرٍ مِمَّا أَدَّى إلى تدخل الحبش، وقد جاء ذلك التدخل نتيجة مبادرة أسقف اسمه توما^(٣١)، حَمَلَ قضية المسيحيين إلى نجاشي الحبشة. ولعلَّ تحرك توما يتصل برواية أخرى عن استشهاد بولس^(٣٢)، أول أسقف مونوفيزي على نجران، استشهد حوالي السنة ٥٢٠ في ظَفَار^(٣٣).

لماذا كانت سياسة سلطات جَمِيرٍ غير متساهلة إزاء مسيحية نجران؟ لا شك أن المسيحية المونوفيزية بدأت تقوى في نجران مع الأسقف بولس الأول، وكان لهذا نتيجتان: أولًا، خلق حالة توتر بين اليهود والمسيحيين في نجران، مما حمل يهود جَمِيرٍ على حث الملك على التدخل، وثانيًا،

MOBERG, *Himyarites* (1924). Text: p. 1-61; translation: p. CII-CXLVI (٣٠)

(٣١) لعله كان أسقفًا على منطقة قرية من الجنوب، على ميل المثال أدوليس (زولا اليوم) عبر البحر الأحمر.

(٣٢) تبعًا لكتاب الحميريين (مذكور أعلاه، ص ٢٢ أ)، ورسالة سمعان البيت هرشمي (المقطع ٤، المرجع أدناه)، توفي بولس قبل الاضطهاد الكبير بعد أن قام بمهت بنجاح طوال مدة كافيّة من الزمن. في شأن رسالة سمعان، فقد طُبعت ونُشرت بالإيطالية سنة ١٨٨١، راجع:

I. GUIDI, *La lettera di Simone vescovo di Beth-Arsam sopra i meriti aneriti*, dans «Atti della R. Accademia dei Lincei», Memorie della cl. di sc. mor., stor. e filol. ser. 3a, 7, Roma 1881, p. 480-515; cf. RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 423 n. 52.

(٣٣) هنا ما يثبت شهيد بالامتداد إلى رسالة سمعان البيت هرشمي الجديدة، راجع: Irfan SHAHID, *The Martyrs of Najran* (Subsidia Hagiographica, 49), (Brussels: stor. e filol. ser. 3a, 7, Roma 1881, p. 480-515; cf. RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 423 n. 52).

وفي شأن صحة نسبة هذه الرسالة الجديدة إلى سمعان البيت هرشمي، راجع: Irfan SHAHID, «The Martyrs of Najran», in: *Le Mésopotamien*, 103 (1990), p. 151-153.

رأت سلطات جَمِير في مسيحية نجران المونوفيزية خطراً قد يُضعف نفوذها ويعرّز نفوذ بيزنطية أو الحبشة. فكان بالتالي الاضطهاد المحدود^(٣٤) الذي أدى إلى تدخّل للنجاشي كان محصوراً في مقاطعة قبيلة الأشقر ومينائها المُخَا، وفي المنطقة المقابلة لها في الداخل، أي ظَفَار. وعلى ما يبدو، دخلت المسيحية، في أعقاب ذلك، تلك المناطق^(٣٥). فهناك دلائل قاطعة على وجود كنيسة في مرفأ المُخَا ومدينة ظَفَار عندما بدأ ذو نواس حربه.

من شأن هذه الأمور أن تثير قليلاً مسألة الأسقف سلفانس، «أسقف الجَمِيريين»، عمّ المؤرّخ المونوفيزي يوحنا ديوكرومينوس. إذ يبدو أنّ إرسال بيزنطية أسقفًا إلى جَمِير، التي كانت في حال عداء معها، والتي أظهرت عدم تسامح حيال المسيحيين، لا سيما في القرن الخامس، هي خطوة لا تخلو من الغرابة. فلا شك أنّ ظروفًا طرأت جعلت من وصول أسقف بيزنطي إلى جَمِير مقبول. يرى شهيد^(٣٦)، عن حق، أنّ الأوضاع التي نتجت عن تدخّل النجاشي سمحت لبيزنطية بإرسال سلفانس، ولربما كان ذلك بناءً على طلب النجاشي نفسه. وصل سلفانس إلى جَمِير في العقد الثاني من القرن السادس، وكان كرسي أسقفية إمّا في المُخَا أو في

(٣٤) أرسل يعقوب السروجي (توفي سنة ٥٢١) بالمناسبة رسالة تعزية إلى مسيحيي نجران، وفي رسالته تلك لا يأتي على ذكر شهداء، ممّا حمل وكما نرى على الاعتقاد بأنّ الاضطهاد كان غير دموي، وهذا قد يكون صحيحًا لولا رواية استشهاد الأسقف بولس التي ذكرناها، والتي، كما يقول شهيد، قد تكون على علاقة بمبادرة الأسقف توما وبالتالي بالتدخّل الحبشي. راجع:

RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 422-423.

(٣٥) يُعدّ هذا التدخّل الثاني، إذ سبق للحبشيين أن قاموا في القرن الرابع باحتلال قسم من ساحل جَمِير، حتّى اسم «الحبشة» مثل إثيوبيا. غير أنّنا لا نعرف الكثير عن التدخّل الأوّل. راجع:

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 380 n. 199.

(٣٦) فضلًا عن ذلك، لا يُتّبع شهيد احتمال أن يكون سلفانس أرسل إلى نجران، ويفترض أنّ يوحنا ديوكرومينوس، في كلامه على أسقف أرسل إلى جَمِير، إمّا يشمل نجران. غير أنّ هذا الافتراض يحتاج إلى براميين. راجع:

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 378-379, 381.

قَلْقَار^(٣٧). غير أننا نجهل ما الذي حصل معه بعد وصوله إلى جَمَيْر. مهما يكن من أمر، فقد دُمِّرَت كلتا الكنيستين في أثناء حرب ذي نواس التي ستكلم عليها لاحقاً.

ثانياً: دخول المسيحية نجران

لا نعلم الكثير عن بداية المسيحية في نجران، لا سيما وأنه لم نثر على أية نقوش توحيدية في تلك المنطقة. يذكر يوحنا الأفسسي أنه في السنة ٣٠٥ امتدى سَكَّان تلك المنطقة إلى المسيحية بفضل امرأة أسيرة. غير أن هذه المعلومة مستقاة من سقراط^(٣٨) الذي لا يذكر صراحة الجَمَيْرَيْن، بل الإبيريين Ibériens. لذا لا تنطبق هذه المعلومة على الجَمَيْرَيْن، ويوجه خاص على النجراتيين. يبقى الآن أن نتفحص المصادر المتبقية، وهي ثلاثة: عربية وسريانية وحشية، لنحاول أن نكون صورة عن وضع مسيحية نجران.

أ - رواية قيمين وهدالله بن الثامر

تألف المصادر العربية أساساً من روايات أسطورية. وتبعاً لإحدى هذه الروايات، التي يسردها ابن إسحاق^(٣٩)، يعود الفضل في تأسيس أول جماعة مسيحية في نجران إلى شخص اسمه قيمين (أو فيمين). كان هذا رجلاً تقياً زاهداً يتجول في سورية، يتجنب المدن الصاخبة. وكان بناءً يستعمل الطين في بناء المنازل. وكان يتنقل ويمكث في القرى ويعني بنفسه، ولكنه ما كان ليفادر إحداها، إلا إن اقتضح أمره، حينذاك كان يتركها، ويذهب إلى غيرها، حيث لا يعرفه أحد. وما لبث أن انضم إليه

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 380.

(٣٧)

(٣٨) كذلك ابن العربي الذي لا يذكر الحميريين بل الإبريين، راجع:

SOCRATE, *Histoire ecclésiastique*, I, 20, in: P. G., t. 67, col. 129;

BARHEBRAEUS, *Chronicon syriacum* éd. Bedjan, p. 60; cf. AIGRAIN,

Arabie (1922), col. 1241.

(٣٩) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٢٠-٢٢، والطبري، تاريخ، ج ١، ص ٩٢٠-

٩٢٢.

تلميذ اسمه صالح، أبدى له ميلاً كبيراً. ثم أسرهما البدو ووصلوا بهما إلى نجران كمبدين. فاشترى فيمين رجل شريف من نجران، وأعطاه بيتاً منفرداً ليسكن فيه. ومن طريق معجزة آيست نخلة النجراتين المقدسة، هدى أخيراً السكان إلى الإيمان، فاعتنقوا حينذاك دين عيسى بن مريم^(٤٠).

يبد أن هنالك تقليدًا آخر، يذكره ابن إسحاق أيضًا^(٤١)، عقب قصة فيمين، يدور حول عبدالله بن الثامر^(٤٢). وفي الواقع، أوجه الشبه بين الروايتين عديدة. كان عبدالله شابًا يتعلم السحر نزولًا عند رغبة والديه. ولكن متوحدًا التقاه وثناه عن غايته. فاهتدى عبدالله إلى المسيحية ولازم المتوحد، الذي كان، بحسب وهب بن منبه، فيمين نفسه. ثم كان أن شفى عبدالله رجلًا سقيمًا، فأثار بصنيعه هذا حفيظة الملك الذي بدأ يلتمس وسيلة لإهلاكه. فدفعه أولًا من قمة جبل عالٍ، واذ وجده سليمًا معافى، عاد ورماه في بحيرة. غير أن عبدالله خرج منها سالمًا. فما كان

(٤٠) جاء في السيرة: «... قال له (سيده) فيمين: إنما أنتم في باطل أن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ولو دعوته عليها إلهي الذي أعبدته لأهلكها، هو الله وحده لا شريك له. قال: فقال له سيده: فافعل فإني إن فعلت دخلنا في دينك وتركتنا ما نحن عليه. قال: فقام فيمين فطهر وصلّى ركعتين ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عز وجل ريحًا فجعلتها من أصلها فألقتها. فأتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم»، ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٣٣.

من جهة أخرى، بين توباخ، في دراسة حديثة له، أن أسطورة فيمين صيغت بمقلية سريانية فرضت مثال «وجعل الله» الذي شاع في البر السوربي. فمن خلال الاتصال الوثيق بالعالم، وصلت المسيحية السريانية، بل وطريقة قهوجيا التدين أيضًا، إلى نجران، وانعكس ذلك على نتاج أدبي، مثل رواية فيمين. راجع:

TUBACH, «Das Anfänge des Christentums in Südarabien», in: *Parole de l'Orient*, 18 (1993), p. 101-111.

(٤١) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٢٣-٢٤، والطبري، تاريخ، ج ١، ص ٩٢٤-٩٢٥.

(٤٢) أجّل عبدالله في وادي نجران كوالي، راجع:

Joëlle BEAUCAMP & Christian ROBIN, «Le christianisme dans la Péninsule arabe d'après l'épigraphie et l'archéologie», in: *Hommages à Paul Lemerle* (Paris: 1981), 54 et surtout note 49.

من أمر عبدالله أمام عجز الملك إلا أن أبلغه أنه لن يكون له عليه من سلطان إلا إن اعترف بوحدانية الله. فرضخ الملك لشرط عبدالله، ثم أخذ عصاه وقضى على عبدالله بضربة خفيفة. ولكن الملك سقط لوقته ميتاً. فسارع النجرائيون حينذاك إلى اعتناق المسيحية^(٤٣).

وشير ريمانز^(٤٤) إلى وجود نصّ مختلف لهذه الرواية في تقليد يرتقي إلى صهيبي، وفيه أوجه شبه عديدة مع ما ورد في القرآن ٨٥/٤-٨ في شأن «أصحاب الأخدود». وفي تلك الرواية، لم يلاق الشاب المؤمن حتفه إلا بعد أن صُلب على نخلة ورُمي برمح يحمل اسم سيده، وإنما تمّ ذلك بناءً على تعليماته. أما الشعب، فقد امتدى في أثر ذلك، ولكنّ الملك حفر حفرة أوقد فيها ناراً وألقى فيها من تنصّر^(٤٥).

لقد أبرز مويرغ^(٤٦) الطابع الأسطوريّ في هذه الروايات، وبرهن أنّ

(٤٣) جاء في السيرة: «... قال له (للملك) عبدالله بن النامر: إنك وإن لا تقدم على قتلي حتى ترحد الله، فتزمن بما آمنت به. فإنك إن فعلت سلّطت عليّ فتقتلني. قال: فوحدت الله ذلك الملك، وشهد شهادة عبدالله بن النامر، ثم ضربه بعصاة كانت في يده، فشجّه شجّة غير كبيرة قتله. وهلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبدالله بن النامر، وكان على ما جاء به عيسى من الإنجيل وحكمه، ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٢٤.

(٤٤) RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 442.

(٤٥) كتب الطبري: «قال (الملك): لا تلتك، قال: ما أنت بقاتلي حتى تصنع ما أمرك به. قال: فقال الغلام للملك: اجمع الناس في صعيد واحد، ثم اصلي، ثم خذ سهمًا من كنانتي فارمني وقل: باسم رب الغلام، فإنك ستقتلني. قال: فجمع الناس في صعيد واحد. قال: وصلبه وأخذ سهمًا من كنانته، فوضعه في كبده القوس، ثم رمى فقال: باسم رب الغلام. فوقع السهم في صدغ الغلام، فوضع يده هكذا على صدغه، ومات الغلام. قال الناس: أتأيرب الغلام. فقالوا للملك: كما صنعت، الذي كنت تحلر قد وقع، قد آمن الناس. فأمر بأفواه السكك، فأخذت. وخذ الأخدود وضرم فيه النيران، وأخذهم وقال: إن رجعوا وإلا فالقوم في النار. قال: فكانوا يلقونهم في النار، الطبري، جامع، ج ١٥، ص ١٣٤.

(٤٦) A. MOBERG, *Über einige christliche Legenden in der islamischen Tradition*, (Lund 1930), p. 15-35.

في الواقع، تسمي الروايات، التي تأتي الكتابات العربية على ذكرها، إلى عالم الخرافات، وقلما يشير إليها المؤرّخون. لنا يجب الرجوع إليها بحذر كبير.

عناصر كثيرة منها استُخِيت من الأسطورة الفارسية المبروقة يزون - بيون Yaztin - Pétion، التي تتمحور حول استشهاد بيون سنة ٤٤٧، وأضيف إليها عناصر أسطورية أخرى.

ب) رواية حنان/حيان

يقي من المصادر العربية التي يجب أن نلتمح إليها تاريخ صيرت الأخباري النسطوري^(٤٧)، وهو تاريخ دُون، بلا شك، سنة ١٠٤٠م، باللغة العربية، ولكن استنادًا إلى مصادر سريانية قديمة العهد لم يصلنا منها شيء.

وفقًا لرواية هذا الكتاب، كان هنالك في نجران، على عهد يزديجرد، تاجر شهير في المنطقة اسمه حنان. قصد هنا مرة القسطنطينية بدافع التجارة، ثم عاد إلى موطنه، ومنه ذهب إلى بلاد فارس. ولكنه مر في الحيرة، حيث راود بعض المسيحيين وتعرف إلى معتقداتهم. وما لبث أن تعمد وبقى في المدينة ردًا من الزمن. ثم عاد إلى موطنه وأخذ يحث مواطنيه على اعتناق ديانته الجديدة. فعمد أفراد عائلته وأشخاصًا من مدينته ومن المناطق المجاورة. ويعون بعضهم، قام بتبشير منطقة جيمير ومحيطها القريب من أكوم^(٤٨). ولاحقًا، وصل إلى العرش في تلك البلاد ملك يهودي اسمه مسروق^(٤٩)، كانت والدته يهودية أسرت في نصيبين واشتراها ملك يمني. فلقت ابنها الديانة اليهودية. وعندما خلف هذا أباه على العرش، قتل الكثير من المسيحيين.

يرى مورغ^(٥٠) أنه من غير المستبعد أن تكون هذه الرواية قد استُخِيت

· صراجع في هذا الشأن:

HECHAIMÉ, *Chréto* (1967), p. 82-93.

SCHER, *Histoire nestorienne*, t. V. p. 330-331.

(٤٧)

(٤٨) لا نعلم شيئًا عن نشاط حنان في أرض جيمير بحصر المعنى، ومن غير المستبعد أن يكون قد قام بعمل تبشيري فيها، ولكن من دون تحقيق نتائج كبيرة.

(٤٩) المقصود به يوسف أسار يثار أو أبا نواس.

(٥٠) على القالب أن المقطع الصغير الذي يرد في تاريخ صيرت قد نُقل من الفصل الثاني =

من كتاب الحَمِيرِيِّين، إذ تقول إحدى الشهيديات، أمام ذي نواس، إنها ابنة شخص اسمه «حَيَّان»^(٥١)، هو مَنْ أدخل المسيحية إلى نجران وبلاد الحَمِيرِيِّين. فالاسمان، حَتَّان أو حَيَّان، لا يحولان دون مطابقة النصين^(٥٢). فالاسمان شيهان كائياً، أكان ذلك في السريانية أم في العربية. ويذهب شهيد^(٥٣) إلى اعتبار أنّ كتاب الحَمِيرِيِّين، الذي يستقي منه تاريخ سيمز، يؤكد أنّ حَيَّان هو اسم رجل عربي من مدينة نجران، كما وأنه اسم أثبت أنه عربي قبل الإسلام ويعلوه. ومن جهة أخرى، حَيَّان هو اسم مسيحي، بل هو اسم يوحنا وقد عُرب على وزن «فَعَال»، ويلائم تماماً مهتد اعتنق المسيحية واعتمد في الجيرة.

بناءً على ما تقدّم، يمكننا أن نعتبر أنّ المسيحية بدأت في نجران بواسطة حَيَّان في وقت ما من عهد الملك الساساني يزيد جرد الأول (٣٩٩-٤٢٠)^(٥٤).

من كتاب الحَمِيرِيِّين، وهو فصل لم يصلنا منه سوى عنوانه: «قصة حول بداية نشر المسيحية في بلاد الحَمِيرِيِّين». وكما أنّ هذا المقطع من تاريخ سموت يملأ الفراغ الذي تركه فقدان نص الفصل الثاني من كتاب الحَمِيرِيِّين، فكذلك يتوسّع الفصل ٢١ من هذا الكتاب بالقصة القصيرة في تاريخ سموت المتصلة باستشهاد حبصا. C. MOBERG, *Himyarites* (1924), p. 31a & 32b. SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 361 n. 135.

(٥١) وأنا ابنة حَيَّان من عائلة حَيَّان الكبير، الذي أدخل ربنا عن طريقه المسيحية إلى أرضنا. إلا أنّ والدي أحرق مجسمكم في ما مضى، راجع: MOBERG, *Himyarites* (1924), p. CCCIII. 32b, ligne 6-10.

MOBERG, *Himyarites* (1924), p. 50. (٥٢)

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 362 & n. 138. (٥٣)

(٥٤) ظلّ بعضهم أنّ الملك المقصود هو يزيد جرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧)، لا الأول، وبالتالي يكون دخول المسيحية تمّ في النصف الثاني من القرن الخامس. وقد بُني هذا الاستنتاج على حجتين: (أ) لا يأتي النص على تحديد مَنْ هو الملك، بل يُذكر فيه «يزيد جرد» فحسب، (ب) لا بدّ أنّ قرناً كاملاً فصل بين حَيَّان المذكور في كتاب الحَمِيرِيِّين وحفلته حبصا التي استشهدت إبان اضطهاد ذي نواس. غير أنّ شهيد حضى هذه الحجج ويتن بما لا يقبل الجدل أنّ الملك هو يزيد جرد الأول. فهو يشير إلى أنه من غير الواضح ما إذا كان حَيَّان هو جد حبصا، بل لعله كان أباً جدها. فهي لا تذكر صراحة أنها ابنة حَيَّان، بل عبارة «الكبير» تدخل في السياق كمتصر في السلاطة. وبالتالي، يمكن الافتراض أنّ حَيَّان، أباهما، لم يكن ابن حَيَّان المعلم،

أما في شأن انتماء حيان المقائدي، فانطلاقاً من اعتبار أنّ الملك المذكور في تاريخ صيرت هر يزدجرد الثاني، افترض هيرشبرغ^(٥٥) أنّ حيان كان نسطورياً، وبالتالي يكون قد أدخل إلى نجران المسيحية النسطورية. غير أنّ ركماتز^(٥٦) يخالفه الرأي حول هذا الموضوع، ويفترض أنّه من غير الممكن أن يكون حيان/حنان نسطورياً، وهو، في الوقت نفسه، من أدخل المسيحية إلى نجران، وجدّد إحدى الشهادات التي كانت، بلا شك، مونوفيزية. وهذا ما حمل ركماتز، في آخر الأمر، إلى اعتبار حنان المذكور في تاريخ صيرت هو غير حيان الوارد اسمه في كتاب الجُمَيْرِيِّين. وهذا افتراض ساقط، كما أشرنا إليه آنفاً.

فضلاً عن ذلك، كون الملك الساساني هو يزدجرد الأول، لا يزدجرد الثاني، يفتح في المجال إلى استنتاجات مفارية في شأن انتماء حيان المقائدي، كما بيّنه شهيد^(٥٧). فحيان زار الحيرة^(٥٨) إبان حكم يزدجرد الأول، أي قبل انعقاد مجمع أفسس (٤٣١)، الذي انتشرت النسطورية في أعقابه، وقبل انعقاد المجمع الخلقيدوني (٤٥١)، الذي سادت من بعده المونوفيزية كعقيدة أساسية في الشرق. ولا يفريّن عن بالنا

ولرّما كان حفيده، لا سيّما وأنّ «السمي» هي بالأكثر بين الجدّ والحفيد، لا بين الأب والابن. راجع:

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 362-363.

HIRSCHBERG, *Nestorian Sources* (1939-1949). (٥٥)

RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 450-451. (٥٦)

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 363-364. (٥٧)

(٥٨) قد نتساءل عن السبب الذي جعل حيان يهتدي في الحيرة: لا في القسطنطينية. يعطي شهيد سبين وجيهين: أ. كانت المسيحية قد تأسست في ذلك المركز العربي الكبير، وكان للحيرة أسقف، اسمه موشع. فأصبحت المدينة مركزاً لنشر المسيحية وبوجه خاص بين عرب الجزيرة والخليج الفارسي، بحكم موقعها الجغرافي، و ب. كان حيان من قبيلة الحارث بن كعب، التي غالباً ما اختُصر اسمها بـ «بُلْحَارِث»، وكانت حينذاك القبيلة المسيطرة في نجران. فلا بدّ أنّ حيان وجد العديد من أبناء قبيلة مستقرين في الحيرة، إلى جانب مجموعات قبيلة أخرى من الجنوب، أمثال التوخ وأزد. وبما أنّ هؤلاء كانوا، على الغالب، قد اعتنقوا المسيحية، فقد أتروا في قرار حيان في هذا الشأن.

SHAHID, *Byzantium* (1989), p. 366-367.

أيضاً أنّ الحيرة لم تصبح مركزاً مونوفيزياً إلا ابتداءً من السنة ٤٥٧. فلا بدّ أنّ مسيحية حيّان، التي أدخلها إلى نجران، هي المسيحية التي عمّت الشرق عقب المجمعين المسكوتيين في القرن الرابع، ويمكن أن نسميها مسيحية نيقيا. أمّا أنّ النسطورية والمونوفيزية كانتا معروفتين في نجران، فهو أمر صحيح، ولكن في وقت لاحق. ولا شك أنّ المونوفيزية، مع الوقت، أصبحت العقيدة الرئيسية في نجران.

ج - ردود فعل ملوك حِمير

عرفت نجران، بفضل موقعها الجغرافي، ازدهاراً كبيراً، يقوم أساساً على التجارة. وبحكم بعدها عن سلطة حِمير المركزية، تمتعت بنوع من الاستقلال الذاتي. بل اتخذت طابع مدينة مستقلة ودولة كنيسية. فزينت العمارات الرائعة والكنائس الكبيرة مختلف أنحاء المدينة. ومن جهة أخرى، تسبّب انتشار المسيحية بخلق جوّ متوتر بين المسيحيين وجماعات اليهود^(٥٩)، كما ذكرنا في ما تقدّم.

إنّ هذه العوامل مجتمعة، إضافة إلى احتلال الحبش قسماً من شاطئ اليمن، والصراع بين الفرس والبيزنطيين من أجل السيطرة على الجزيرة، وانتشار اليهودية في حِمير، جعلت حكام حِمير يتخذون موقفاً عدائياً من مسيحيي نجران، إذ وأوا فيهم خطراً يهدّد سلطتهم. لذا لم يتوانوا عن مضايقتهم واضطهادهم.

في كتاب أصمال عزقير، كما ذكرنا سابقاً، رواية عن استشهاد الكاهن عزقير. تبعاً لتلك الرواية، أُلقي عزقير في سجن بنجران، وفي أثناء اعتقاله، كان يزوره، بطريقة عجائبية، خمسون شاباً من طالبي

(٥٩) ما يعرّض هذا الاحتمال هي قول حيصا أمام ذي نواس: «والذي أحرق مجعكم في ما مضى» (راجع الحاشية ٥١ أعلاه). فتولها يُظهر أنّ انتشار المسيحية المترابطة في نجران، حيث كان لليهود مجامع، أدّى إلى خلق توتر بين الجماعتين، انتهى بأعمال تخريب وحرق طالت المجامع. فكان أن استجد يهود نجران بإخوتهم في العاصمة، فتج من ذلك تدخل شرجيل بكوف، الملك الحميري. راجع:

SHAHID, *Byzantium* (1930), p. 371.

العماد، فمَدَّهم وهو في السجن. فاقتيد إلى صَفَّار (= ظَفَّار)، وأحضر أمام الملك سَرَّحِيل دانِكِف (= شرحِييل يَكُوف)، ولكنه أبقى أن يجحد دية. فأمر الملك، نزولاً عند نصيحة اليهود المحيطين به، بصلبه على محرقة في نجران، فخرج من تلك المحطة سالمًا. ولَمَّا أراد اليهود رجعه، سقطوا لوتهم موتى وغطاهم الدود. وأخيرًا، سَلِمَ أحدُ تلامذته، نزولاً عند أمره، حسامًا إلى سِيَّاف، فقطع هذا رأسه^(٦٠).

لرواية عزقير أُمَّيَّة خاصة لأنها تتضمن حوادث تاريخية أضفي عليها طابع أسطوري. فالملك المذكور فيها هو شرحِييل يَكُوف، والمدينة صَفَّار هي ظَفَّار، كما تبيّن نفوذُ الحضور اليهودي في بلاط جَمِيْر^(٦١).

لذا علينا أن نفترض أن عهد شرحِييل تميّز بإجراءات قاسية إزاء المسيحيين، لعلها أدت إلى استشهاد بولس، أول أسقف مونوفيزي على نجران، حوالي السنة ٥٢٠، وبالتالي مبادرة الأسقف توما، فتدخل النجاشي في المنطقة الساحلية وظَفَّار.

من المرجح أن يكون بولس قد رُسم أسقفًا حوالي السنة ٥٠٠، وبالتالي بقي مدة طويلة على كرسيه الأسقفي، وهذا يعلّل سبب شهرته^(٦٢)، وتمكّنه من تنظيم كنيسته تنظيمًا دقيقًا أقلت سلطات جَمِيْر. فقضلاً عن الأسقف، كان هنالك رؤساء مشايخ ورؤساء شمامسة ورؤساء شدايقة وأبناء العهد وبنات العهد^(٦٣).

(٦٠) في نهاية الرواية إشارة إلى أن ٣٨ شخصًا استشهدوا مع عزقير، ومنهم متروبوليت وكهنة وشمامسة ووهبان... ولكن نهاية الرواية تناقض بنائها، حيث يبدو عزقير مبشر نجران الوحيد. فلا ريب في أنّ خاتمة الرواية إضافة لاحقة. راجع: RYCKMANS, *Christianisms in Arabia* (1964), p. 442.

(٦١) هنالك معلومات أخرى في تلك الرواية تصف أوضاع الجنوب وصفًا جيّدًا. ففيها ذكر لقيتين هما ذَا - سِعلَبان وذا - قِيفان، هما، في الواقع، ذو - ثعلبان وذو - قيفان. وفيها ذكر لناحية وسحر، حيث توثّق عزقير وهو في طريقه إلى ظفار، وهي مدينة وسعًا/وسعًا، إلخ. راجع:

RYCKMANS, *Christianisms in Arabia* (1964), p. 443.

MOBERG, *Himyarites* (1924), p. LI

(٦٢)

=

(٦٣) راجع لائحة المحتويات في:

حروب ذي نواس

يحيط الغموض بالطريقة التي توصل فيها ذو نواس إلى الحكم. وفقاً لبعض التقاليد، كان ذو نواس من أحد أفراد الأسرة الجيميرية الحاكمة، تخلّص من ملك غاصب اسمه ذو سَنَائِر وخلفه. وثمة رواية أخرى تفيد أنّ ذا نواس ارتقى العرش عقب موت ملك أقامه الحبش، وكان ذلك في فصل الشتاء الذي كانت تصعب الاتصالات فيه مع أكسوم^(٦٤).

ولا شك أنّ تهوّد ذو نواس، الذي ارتقى الحكم في السنة ٥٢٢، ألّف تواصلاً لسيطرة اليهودية المستمرة على بلاط جيمير. ويميل الباحثون المعاصرون إلى تفسير سياسة ذي نواس كمحاولة لإنشاء دولة ذات لون ديني واحد، هو اليهودية، على غرار عدوّه التقليديين بيزنطية وأكسوم^(٦٥). ولكي يحقق هدفه، هاجم أولاً المناطق التي يحتلّها الحبش، أي المنطقة الساحلية لمرقا المُخَا ومنطقة ظَفَّار. ويتضح من النقوش التي وصلتنا عن حملة ذي نواس^(٦٦) أنّ تلك المنطقة عوملت على أنّها أرض عدوة. إذ قُتل ١٤ ألفاً من السكّان بحدّ السيف، وأسر منهم ١١ ألفاً، ودُمّرت كنيسة المُخَا وظَفَّار، وأهلك جنود النجاشي^(٦٧).

والشير في هذا المضمار هو أنّ الروايات والسير لا تحيي ذكرى ضحايا ذلك الهجوم، بل شهداء نجران فقط. وهذا يعطي الانطباع بأنّ ما حدث قد اعتُبر وكأنّه حرب بين بلدين. وفي كتاب أعمال عزقيير ما يدعم

MOBERG, *Himyarites* (1924), p. CI-CIV; cf. SHAHID, *Byzantium* (1989), p. = 376 n. 186.

(٦٤) تعود الرواية الأولى إلى التقاليد العربية، والرواية الثانية إلى رسالة سمعان البيت هرشمي المذكورة سابقاً. مهما يكن من أمر، فهناك تشابه بين الروايتين. راجع: AIGRAIN, *Archis* (1922), col. 1243-1244.

TRIMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 289. (٦٥)

RYCKMANS, *Inscriptions* (1953), p. 333-336. (٦٦)

(٦٧) من الصعب أن نعتبر حمل ذي نواس تحريراً لأرض يحتلّها عدو. فعلى الأرجح أنّ سكّان تلك المنطقة، من حميريين وأجانب، تحوّلوا في نظر الملك إلى أعداء، لا سيّما وأنّ الوجود الحبشي فيها تملّئ أكثر من قرن. راجع:

RYCKMANS, *Christianisme en Archis* (1964), p. 424-425.

هذا الافتراض. فبما لرواية وردت فيه، قرّر الملك شنّ الحرب على جنود النجاشي الموجودين في البلاد، وبعد أن قضى عليهم قرّر تدمير مدينة نجران المسيحية وكنائسها^(٦٨). لذا تفرّق الرواية بين الحرب على الحبش واضطهاد مسيحيي نجران.

إضطهاد نجران

من المحتمل أن يكون ذو نواس قد استغلّ حوادث عنف وقعت في نجران واستهدفت اليهود لكي يبدأ هجومه على المدينة^(٦٩). أمّا نجران، فيبدو أنّها قاومتها، وبدت منيعة بحيث إنّه لجأ إلى الحيلة. فوعد سكّانها بالأمان والعفو إن استسلموا، ففعلوا. ولكنّه ما أن دخلها حتى ارتكب مجازر رهيبية. فقد أمر جنوده بحفر حفرة كبيرة في جوار المدينة ملؤها بالوقود وأضرموا فيها النار، وراحوا يلقون فيها كلّ من أبي أن ينكر دينه ويعتق اليهودية، فوصل عدد الضحايا إلى الآلاف، وكان من بينهم كهنة وراهبان من المناطق المجاورة والعناري المكرّسات ونساء كهلات ترمين. أمّا وجهاء المدينة وأميرهم، واسمه الحارث^(٧٠) (أطلق بعض

(٦٨) يرد في كتاب الحميرتين أنّ ذا نواس دمر كنائس مأرب وحضرموت، وهما مدينتان عرفتا المسيحية، في الغالب، انطلاقاً من نجران، بسبب موقعها الجغرافي القريب منهما. راجع:

MOBERG, *Humyarites* (1924), p. 5b.

من جهة أخرى، يقرّ النقشان Ry 507 & 508 معلومات عن المنازعات بين الأوسيين والحميرتين في بداية القرن السادس. وتشير تلك المعلومات إلى أنّ المنازعات بدأت فعلياً في السنة ٥١٧ واستمرت حتى السنة ٥٢٥. أمّا ذو نواس، فقد أحدث تغييراً في الصراع، إذ نجح في السيطرة على الأقسام التي احتلها الحبش سابقاً، قبل أن يعود النجاشي ويسترجعها سنة ٥٢٥.

cf. RYCKMANS, *Inscriptions* (1953), p. 331-336.

(٦٩) تبين لاين الكلبي، أنّ ذو نواس من موت اثنين من اليهود على يد النجاشيين حجة لياشر هجومه على المدينة. راجع:

RABBATH, *Orient chrétien* (1989), p. 174.

(٧٠) يبدو أنّ اسم «الحارث»، الذي يرد أكثر من مرة في كتاب الحميرتين، هو اسم القبيلة أكثر منه اسم شخص. وقد سبق وذكرنا أنّ قبيلة الحارث بن كعب، أو بَلْحَارِث، كانت نجرانية. (راجع الحاشية رقم ٥٨). من جهة أخرى، يرى بعضهم أنّ هذا «الحارث» أو سيده نجران، والنجاشيين عامة، كان يضلّون الحبش على سلطة»

الكتاب العرب عليه اسم عبدالله ابن الثامر)، وكان رجلاً عُرِف عنه تقواه وحكمته، فقبِلوا. ثم جدّ ذو نواس في طلب أسقف المدينة، بولس، فأعلم بأنه توفي منذ زمن قريب. فأمر بأن تُخرج عظامه وتُحرق وتُثر رماداً في الريح. أما الحارث ورفاقه، فاقتيدوا إلى مكان فيه جدول صغير بجوار المدينة وهناك ضُربت أعناقهم. وعندما أظهرت زوجاتهم الثبات بالإيمان لقين المصير نفسه. وثمة زوجة أحد الوجهاء، اسمها رُوما، أحضرت مع ابنتها إلى ذي نواس. فأخذ هذا بجمالهنّ. بيد أنّ ثباتهنّ بالإيمان أقلّله صوابه، فأمر بذبح الفتاتين أمام أمهما التي أكرهت على أن تذوق دمهما، ثم قُتل هي أيضاً. وبعد أن ارتكب مأساة نجران، عاد وجيشه إلى صنعاء.

يبقى أن نلقت النظر إلى موضوع ذي شأن في هذا السياق. فركماثر^(٧١) يشير إلى أنه في رواية كتاب الجُمَيْرِيِّين (ص ١١٣) يُناشد ضروق (= ذو نواس) مسيحيي نجران أن ينكروا ألوهية المسيح وعلنوا أنه كان مجرد إنسان. وفي كتاب أعمال عزقير، يُدعى المسيحيون مرتين إلى الاعتراف بأن يسوع كان مجرد إنسان، ويتابع النص: «أو تكونون أنتم أكثر ذكاة من هؤلاء اليونانيين المقيمين معنا ويسمون أنفسهم تسطوريين؟». وفي الكتاب نفسه، نجد أنّ النساطرة الذين كانوا يحيطون بمنزل الحيرة، الذي أرسل إليه ذو نواس خبر اضطهاده المسيحيين طالباً إليه أن يحذر حدوه^(٧٢)، دعوا الملك إلى التجاوب مع الدعوة،

= ذي نواس، وبالتالي كان انتقام الملك الجُمَيْرِيِّ، راجع:

RABBATH, *Orient chrétien* (1989), p. 174 n. 104.

RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 451-452.

(٧١)

(٧٢) تبعاً لبعض المصادر، سارع ذو نواس إلى إيلاج حليفه ملك الفرس وملك الحيرة بما يقام به، وطلب إليهما التخلص من المسيحيين التابعين لهما. وقد وصل مبعوثو ذي نواس إلى هُفَهِف (الحتا)، بالقرب من الخليج الفارسي، حيث كان المنظر مجتبعاً بيمشة أرسلها الإمبراطور يُسْتَبِيَانُس، تألف من سرجيوس، أسقف الرُصَافَة، والكاهن أبرائيس ورجال دين آخرين وعلمانيين، كما كان بينهم سحمان الموتونيزي، أسقف بيت مرشام ببلاد فارس. وما أن سمع الحاضرون خبر المعجزة حتى أصيبوا بالذهول. وقد أحبط مونوفيزييو سورية والإمبراطورة

وأعلنوا هم أيضًا أن من صلبه اليهود كان إنسانًا لا الله. ويخلص رومانز إلى الاستتاج أن اضطهاد نجران استهدف أسامًا المونوفيزيين، لا النسطوريين^(٧٣).

د - التخلّج الحبشي

تبعا لابن هشام^(٧٤)، وصل نجراني، نجا من المجزرة، إلى يلاط ملك أكسوم، وأبلغ الملك، الذي كان حينذاك أليساس Elessbas أو كاليب، أخبار المجزرة، فضمق ممّا بلغه، ووطد العزم على الانتقام من ذي نواس.

فقد عبرت حملة عسكرية مسيحية حبشية بابّ المنذب بمباركة الإمبراطورية البيزنطية. وهزم الجيش ملك حيمر المتهود، الذي قضى، بحسب الأسطورة، انتحارًا في البحر، وحولوا البلاد إلى صحبة حبشية^(٧٥).

=البيزنطي علمًا بما كان يجري. راجع:

AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1244.

(٧٣) يعتمد رومانز أيضًا على تحليل هرشبيرغ الذي يميز بين مصدرين مختلفين في التقاليد المتصلة بالاضطهاد، مصدر نسطوري يولي اهتمامه بدخول المسيحية إلى نجران وشهادتها الأوائل، ولا يولي اضطهاد نجران أهمية كبيرة - وهو مصدر استقت منه التقاليد العربية - ومصدر مونوفيزي يركّز على الاضطهاد وشهادته. راجع:

RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 449-450.

(٧٤) قال ابن إسحاق: وأفلت منهم رجل من سبأ يقال له قزس ذو ثعلبان على فرس له، فسلك الزمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر الروم فاستصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم. فقال له: بعتك بلائك متًا، ولكنني سأكتب لك إلى ملك الحبشة، فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك. فكتب إليه بأمره بنصره والطلب بأمره. فقدم قزس على النجاشي بكتاب قيصر، فبعت معه سبعين ألفًا من الحبشة، وأمر عليهم رجلاً يقال له أرباط، ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٢٥-٢٦.

(٧٥) بلغ عدد أفراد الجيش الحبشي الذي اجتاح حيمر ٧٠ ألفًا، مزودين بسفن بيزنطية. عمد الجيش، بنية توطيد سيطرتهم على نجران واليمن، إلى ودم أسرار المدن، واخضاع السكان لنظام صارم. راجع:

RABBATH, *Oriens chrétien* (1939), p. 174-175.

يُذكر في كتاب الجَمِيرِيِّين^(٧٦) أَنَّ النجاشِيَّ كالب أتى بكهنة من الحبشة ساعدوا في إعادة تأسيس المسيحية. وفي الكتاب نفسه أَنَّ النجاشِيَّ أرسل خبير انتصاره إلى بطريك الإسكندرية المونوفيزي، طيموتاوس، الذي رسم أسقفًا لوقته وأرسله إلى الجنوب^(٧٧).

أما على الصعيد السياسي، فقد تحوّلت البلاد كليًا إلى محمية حبشية، وعين النجاشِيَّ نائبًا له اسمه إزيميفافوس^(٧٨) Esimiphaios، كان يتقدّم ميامته. وعلى عهد هذا، عاود البيزنطيون انفتاحهم على الجنوب، فأرسل الإمبراطور يُسطينيَّس بعثة إلى اليَمَن بغية تنظيم تجارة الحرير عن طريق اليَمَن والحبشة، وتحويله بالتالي عن خطوط الفرس. وقد وعد إزيميفافوس والنجاشِيَّ البعثة بالتعاون. غير أَنَّ احتكار الفرس كلَّ الحرير الذي كانت تتجه الهند حال دون نجاح المحاولة البيزنطية.

ثورة أبراهة

دام الاحتلال الحبشي حوالي نصف قرن، تخلّته ثورة أبراهة، وهو قائد إثيوبي صاحب ثروة، أقدم على قتل الوالي الجَمِيرِيِّ الذي عينه نجاشي الحبشة، وأعلن استقلاله^(٧٩). وترتبط باسم أبراهة إنجازات

(٧٦) MOBERG, *Hömyarites* (1924), p. 56a.

(٧٧) ظنَّ كثيرون، أمثال إغران (AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1246)، أَنَّ الأسقف المذكور هو غريغثيس، الذي نُسب إليه مؤلفان: جدل مع هيزمان (يهودي)، وشرايع الجَمِيرِيِّين. غير أَنَّ دراسة حديثة يثبت أَنَّ المؤلفين منحولين، بل وحتى وجود غريغثيس نفسه مُختلق، راجع:

GREGOIRE, «Mahomet et le Monophysisme», in: *Mélanges Diehl*, (Paris: 1930), p. 115; cf. RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 452.

(٧٨) أو سُجَّعَ أشوع من عائلة ذي بزن. وفي الواقع، اعترض بعضهم على المعاملة بين إزيميفافوس وسُجَّعَ، بسبب افتقارنا إلى معطيات وافية نجيِّز لنا أن تقوم بمثل هكذا معاملة. غير أَنَّ بعض المعطيات غير المباشرة متوفرة في هذا الشأن. فكلاهما عاشا في الزمن نفسه، وتبيان إلى العائلة نفسها. راجع:

LOUNDINE, *Rapports* (1974), p. 319 n. 23.

(٧٩) أرسل كالب جيشًا على رأسه أحد أقاربه (أرباط) بهدف قمع التمرد. غير أَنَّ أبراهة تمكن من جلب الجيش إلى جانبه، إذ صوّر له أَنَّ البلاد بلاد مبهجة خلافة، تستوجب الجميع. قتل القائد الحبشي. والتقليد العربي يفيد أَنَّ ذلك حصل في قتال فردي، =

عديدة، أهمها إنهاء ترميم سدّ مَارب^(٨٠)، الذي انهار مرّة أخرى، وتشييد كنيسة القليس في صنعاء^(٨١).

وفي الواقع، أتت إنجازات أبراهة في وقت اشتدّ فيه التنافس بين البيزنطيين والفرس للسيطرة على الجزيرة. أمّا أبراهة فقد أثار الوقوف إلى جانب البيزنطيين، حلفائه التقليديين. ولربما لحملته على عرب معادّة، أنصار اللخمين، وحملته على مكّة^(٨٢)، التي انتهت بهزيمة مريرة^(٨٣)، علاقة بسياسة بيزنطية القاضية بإضعاف نفوذ الفرس في الجزيرة^(٨٤).

على أثر خيانة أحد العبيد، وبعد أن قطع أنف أبراهة بضربة سيف، لذا أطلق عليه اسم «الأشرم». بقي أبراهة صاحب جيشين، سيّد اليمن الوحيد، وأبى أن يدنق الجزية لنجاشي الحشة كالب، إلا بعد أن ارتقى العرش خليفة هذا. راجع: ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٢٨-٢٩، والطبري، تاريخ، ج ١، ص ٩٣٠-٩٣١. (٨٠) استغلّ أبراهة حادث انهيار السدّ ليؤكد نفوذه على المملكة. ذلك بأنّ تمرّكاً قاده المنصور يزيد بن كبشاش أخذ يتهدّد نفوذ أبراهة، لا سيّما وأنّ يزيد قد نجح، على الأرجح، في اجتذاب أنصار له في شرق اليمن. فجاء خبير انهيار السدّ لينهي التمرد، إذ سارع الجميع إلى المساهمة في إعادة الترميم. وقد حصل أبراهة في أعقاب ذلك على تهنئة الملك الذين أوفدوا إليه مبعوثين لهذا الغرض. فحضر إلى مَارب، في الوقت نفسه، ممثلين عن إمبراطور بيزنطية يُسطينيئس، وملك الفرس خسرو أنشروان، ونجاشي أكسوم رمهيس زيمان، ومنذر الحيرة، والغساني الحارث بن جبلة. راجع:

AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1247-1248.

(٨١) من الممكن أن يكون أبراهة قد حصل على عون الإمبراطور البيزنطي في عملية تشييد القليس، ولربما ساهم الإمبراطور أيضًا في إنشاء كنائس نجران. راجع:

LAMMENS, «La république marchande de la Mecque», in: *Bulletin de l'Institut égyptien*, (1910), Ve série, t. IV, p. 51; cf. AIGRAIN, *Arabie* (1922), col. 1250.

(٨٢) لربما أراد أبراهة من خلال تشييد كنيسة صنعاء أن يحوّل موسم الحج من مكّة حيث الحجر الأسود، إلى تلك الكنيسة، فيستقطب حرب الجزيرة. فكان أن قام أحد المكّيين بتدنيس الكنيسة صلقيًا فيها مهملات. فاقسم أبراهة حينذاك أن يلتمس الكعبة. راجع:

RABBATH, *Orient chrétien* (1989), p. 175.

(٨٣) لعلّ في سورة القرآن ١٠٥ إشارة إلى منه الواقعة. إضافة إلى ذلك، تزخر التقاليد العربية بروايات أسطورية حول تلك الحملة. راجع على سبيل المثال: الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٢٠٢-٢١٨.

(٨٤) من الممكن أن يكون اليهود، الذين لاقوا هزيمة شتاء في الجنوب، قد وجّهوا أنظارهم صوب بلاد فارس، قبلى يهود الحجاز لأبراهة، في تلك الظروف،

ومن الجديد على صعيد الكتيبة في زمن أبراهة، أن المونوفيزية في الجنوب اصطفت باليولانية^(٨٥). فقد ورد في تاريخ سيمز^(٨٦) أنه في ظلّ حكم يُسطينيُس، غادر المونوفيزيون الأراضي البيزنطية ولجأوا إلى الجبيرة. غير أنهم دخلوا هنالك في نزاع مع الناطرة وجائليتهم شيلا هلاّ. ولما لم يشعروا بالأمان، بعدما حرّض يُسطينيُس المنتر على طردهم، لجأوا إلى نجران، حيث رَوّجوا عقائد يوليانس. ويرد في تاريخ ميخائيل السرياني أن اليولانية انتشرت بسرعة في بلاد الكوشيين والجميرتين^(٨٧).

وعقب وفاة الأسقف الذي أرسله بطريك الإسكندرية إلى الجنرب، رفض أبراهة استقبال أسقفًا من الإسكندرية، بعد أن قيل الكرسى البطريركي هنالك بالعقيدة الخلقيدونية. وقد فشلت عدة محاولات لدى يُسطينيُس بغية الحصول على أسقف مناهض للمجمع الخلقيدوني. وأخيرًا، بعد شغور الكرسى طوال ٢٠ سنة، اجتمع الكهنة ليكرسوا أسقفًا. غير أن تلك الرسامة لم تحصل على اعتراف أحد، فكان ذلك عنصر خلاف جديد، سهّل نشر تعاليم يوليانس وشيخ الملكيسادقين^(٨٨). وتبعًا لميخائيل السرياني^(٨٩)، كان هنالك راهب يولاني اسمه سرجيوس

«خطرًا، فكانت الحملة على مكة والمدينة. على أن بعضهم يرى شيئًا إضافيًا لحملة أبراهة؛ وهو أن حملته، التي قام بها في السنة ٥٤٧، تتزامن مع الحروب التي اندلعت بين اللخمين والغساسنة في السنة ٥٤٦ واستمرت حتى السنة ٥٥٤. فلعلّ أبراهة استفاد من المناسبة ليحاول أن يعيد تأسيس مملكة الكنتة التي خربت نفوذها في شمال الجزيرة إبان الثلاثينات من القرن السادس. راجع: LOUINDINE, *Rapports* (1974), p. 319-320.

(٨٥) راجع في شأن هذه البدعة: حموي، معجم الإيمان (١٩٩٤)، ص ٥٥٩.

(٨٦) SCHER, *Histoire nestorienne*, t. VII, p. 143 ss.

(٨٧) *Chronique de Michel le Syrien*, trad. CHABOT, 2, p. 251; Cf. E. HONIGMANN; *Evêques et évêchés monophysites d'Asie Orientale*, Louvain 1951, p. 127-131; RYCKMANS, *Christianisme en Arabie* (1964), p. 452-453.

(٨٨) راجع في شأن هذه الشيح حموي: معجم الإيمان (١٩٩٤)، ص ٤٨٢.

(٨٩) Jean d'EPHESE, dans ASSEMANI, *Ecclésiastes Orientalis*, I, p. 384-385; Michel le Syrien, *Chronique*, éd. CHABOT, 2, p. 185; AIGRAIN, *Archie* (1922), col.

عَيْنَ أَسْقَفًا عَلَى الْجَمْعَيْنِ، وَبَقِيَ فِي مَنْصِبِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ، ثُمَّ خَلَفَهُ رَجُلٌ
اسْمُهُ مُوسَى.

هـ - التَّدخُّلُ الْفَارِسِيُّ

غَيْرَ أَنَّ الْأَوْضَاعَ عَادَةً لِتَتَقَلَّبَ فِي الْجَنُوبِ فِي الرَّبِيعِ الْأَخِيرِ مِنَ الْقَرْنِ
السَّادِسِ، عِنْدَمَا اسْتَجَدَّ قَادَةُ جَنْبِيَّوْنَ بِالْفُرسِ، فِي سَبِيلِ التَّحَرُّرِ مِنَ
الْحَبَشِ^(٩٠). فَهَزَمَ جَيْشُ خَسْرُو السَّاسَانِيِّ الْحَبَشَ وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْجَنُوبِ،
وَأَعْطَى أَمْرَاءَ مَحَلِّيِّينَ، وَلَا سِيَّامًا مِنْ عَائِلَةِ ذِي يَزْنَ، تَوْعًا مِنَ الْاِسْتِقْلَالِ
فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ بِلَادِهِمْ. دَامَ الْاِحْتِلَالُ الْفَارِسِيُّ حَتَّى الْفَتْحِ
الْإِسْلَامِيِّ^(٩١).

افْتَرَضَ بَعْضُهُمْ^(٩٢) أَنَّ مَسِيحِيَّيَ الْجَزِيرَةِ، وَلَا سِيَّامًا الْجَنْبِيَّوْنَ
مِنْهُمْ، تَحَوَّلُوا إِلَى النَّسْطُورِيَّةِ فِي أَعْقَابِ الْاِحْتِلَالِ الْفَارِسِيِّ، الَّذِي حَصَلَ
بَعْدَ السَّنَةِ ٥٧٠ بِزَمْنٍ قَلِيلٍ. وَثَمَّةٌ مَنْ يَعْتَقِدُ^(٩٣)، فِي هَذَا السِّيَاقِ، أَنَّ مَا
تَبَقِيَ مِنْ مُونُوفِيزِيَّتَيْنِ فِي نَجْرَانَ تَرَكَوَا الْبِلَادَ عِنْدَ الْاِحْتِلَالِ الْفَارِسِيِّ. لِذَا،
يَكُونُ الْمَسِيحِيَّوْنَ الَّذِينَ نَفَاهَمُ الْخَلِيفَةُ عَمْرٌ مِنْ نَجْرَانَ إِلَى الْكُوفَةِ فِي
الْعِرَاقِ مِنَ النَّسَاطِرَةِ. غَيْرَ أَنَّ هَذَا مَا يَدْعُو إِلَى التَّحَقُّقِ فِي هَذَا الشَّأْنِ.
فَالْجَائِلِيُّقُ النَّسْطُورِيُّ طِيمُوتَاوَسُ (٧٨٠-٨٢٣)، الَّذِي عَيْنَ أَسْقَفًا عَلَى
هَؤُلَاءِ الْمَسِيحِيِّينَ، وَجَدَهُمْ مُتَأَثِّرِينَ بِهَرَطُكَةِ يُولْيَانَسِ^(٩٤). فَفِي الْغَالِبِ،

(٩٠) كَانَ فِي طَلِيعَةِ الْيَمَنِ الْمَسْتَجْلِبِينَ بِالْفُرسِ سَيْفُ بَنِ ذِي يَزْنَ. وَقَدْ اسْتَمْتَلَ الْفُرسُ
تِلْكَ الْفُرْصَةَ الذَّمِيَّةَ لِيَقْبُرُوا عَلَى حُكُومَةِ مَسِيحِيَّةٍ مُرْتَبِطَةٍ بِبِيزَنْطِيَّةٍ. فَجَرَّدَ خَسْرُو الْأَوَّلُ
حَمَلَةً عَسْكَرِيَّةً أَرْكَلَتْ قِيَادَتَهَا إِلَى مَادِي كَارِبِ بْنِ سَيْفِ، الَّذِي نَجَّحَ فِي طَرْدِ الْحَبَشِ
بِمَعَاوَةِ الْجَمْعَيْنِ. رَاجِعْ:

RABBATH, *Orient chrétien* (1939), p. 175.

(٩١) كَانَ بَاذَانَ آخِرَ حَاكِمٍ عَلَى الْيَمَنِ عِنْدَ خَسْرُو الثَّانِي. وَبَعْدَ وَفَاةِ خَسْرُو سَنَةَ ٦٢٨،
اِخْتَارَ بَاذَانَ الْإِسْلَامَ.

TOR ANDRAE, *Les origines de l'islam et le christianisme*, trad. par Jules (٩٢)
ROCHE («Initiation à l'islam», 8) (Paris 1955), p. 24-29; cf. RYCIKMAN,
Christianism in Arabia (1964), p. 453 n. 202.

HIRSCHBERG, *Nestorian Sources* (1939-1949), p. 335. (٩٣)

RYCIKMAN, *Christianism in Arabia* (1964), p. 453. (٩٤)

بقيت المونوفيزية موجودة في الجنوب في أثناء الاحتلال الفارسي ويعلمه.

الخاتمة

يلاحظ، من خلال هذه الدراسة، أن نواحي عديدة من تاريخ المسيحية في الجنوب لا تزال بحاجة إلى أبحاث جادة لإجلاء الغموض عنها. ولكن يتضح أيضًا أن النزاعات السياسية والعسكرية بين القوى المسيطرة على الشرق حينذاك، أي بيزنطية وأكسوم من جهة، وفارس من جهة ثانية، أثرت في نشر الإيمان المسيحي وانحصاره على السواء. يُضاف إلى ذلك عامل رئيسي أضعف المسيحية هو انقسام المسيحيين في الشرق حول مسائل تتصل بالعقيدة، الأمر الذي حوّلهم إلى شيع متنافسة شتت قواهم.

لقد برز في الجنوب عدة ضروب من المسيحية: في أعقاب مهمة تيوفيلس، تأسست بضع كنائس أريوسية في مملكة جُمَيْر كانت في خدمة التجار البيزنطيين، لم تنجح في جذب العديد من السكان المحليين. وفي المناطق التي سيطر عليها الحبش، انتشرت المونوفيزية الإثيوبية، التي كانت في الأساس مرتبطة بكنيسة الإسكندرية، والتي أصبح لها مع الوقت مزاياها الخاصة المتأثرة إلى حد كبير بالمونوفيزية السريانية، وذلك في أعقاب نشاط مجموعة من الرهبان السريان الذين وصلوا إلى أكسوم حوالي السنة ٤٨٠. غير أن أتباع المونوفيزية في الجنوب كانوا أساسًا من الحبش والتجار الأجانب وبعض القبائل اليمنية المتعاملة مع البيزنطيين وأهل الحبشة، مثل قبيلة الأشعر وقبيلة فرسان. لذا نظرت سلطات جُمَيْر إليهم نظرة عدائية، تُرجمت على عهد ذي نواس حروريًا ضرورية.

فضلاً عن ذلك، كان هنالك وجود نسطوري، يقل أهمية عن الوجود المونوفيزي، في بعض مدن جُمَيْر، ولا سيما في المرافئ. وبالرغم من أن النسطورية كانت مقبولة أكثر من المونوفيزية عند سلطات جُمَيْر المتهودّة لأسباب عقائدية، فهي لم تلاق نجاحًا بين السكان المحليين، ولا حتى

في ظلّ الاحتلال الفارسيّ الذي شجّع تلك البدعة.

أمّا في نجران، فيمكن القول إنّ المسيحية المونوفيزية فيها، المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمونوفيزية الجيرة، انتشرت بين سكّان المدينة وبلغت درجة كبيرة من النموّ والقوّة، حتّى إنّها استمرّت بعد الفتح الإسلاميّ لمئة من الزمن لا تقلّ عن مئتي سنة^(٩٥).

(٩٥) يُذكر أنّ توما التّرمّزيّ كان أسقفًا على اليمن وصنعا في السنة ٨٣٥م، كما تعلم بأمر وجود مسيحيّ في نجران في السنة ٨٩٧م. فلا شكّ أنّ قرار الخليفة عمر إفراغ الجزيرة من المسيحيّين لم يُطبّق على النجرانيتين. راجع: TRIMINGHAM, *Christianity* (1990), p. 307 & n. 58-59.

صدر حديثاً عن دار المشرق
للأب لويس شيخو

